المحاضرة الاولى

جغرافية دول الجوار

هي احدى فروع الجغرافيا البشرية التي تهتم بدراسة الوحدات السياسية (الدول) المجاورة لبعضها وعلاقتها (بالمكان الجغرافي). إذ تهدف الى معرفة العوامل الجغرافية الطبيعية والبشرية المؤثرة على القرارات السياسية . تثير مناقشة مفهوم الجوار الجغرافي في تحليل العلاقات الدولية والنظم الاقليمية أسئلة عدة، مثل: ماذا يقصد بمفهوم الجوار؟ وما هو معيار تحديد الجوار، هل يكون المعيار الجغرافي وحسب. أم معيار حجم وكثافة التفاعلات بين الفاعلين الدوليين بغض النظر عن المسافة الجغرافية التي تفصل بينهم؟ وما هي المداخل النظرية لتحليل العلاقة بين دول الجوار؟ ويطرح، في هذا الصدد، قضايا مثل: توازن القوى، والصراع والتعاون الدولي. ثم ما هو شكل الجوار وإطاره، لأن الجوار قد يتمثل في دولة، أو في مجموعة دول، وقد يتمثل في نظام إقليمي له خصائصه المتميزة؟

إن التعامل مع هذه المواضيع يتطلب مناقشة أربع قضايا تتمثل في: [1]التأصيل اللغوي و[2]الاصطلاحي للمفهوم، و[3]تحليل الجوار الجغرافي من منظور دولة ما، ثم [4]تعريف الجوار بين المفهوم الجغرافي والمفهوم التفاعلي.

أما من الناحية اللغوية، فتشير المعاجم الى مفهوم الجوار بمعنى القرب المكاني، بما يتضمنه ذلك من صلات وروابط. ففي اللغة العربية فإن الجار هو المجاور، وفي اللغة جاوره - مجاورة وجواراً. والإجارة هي الغوث والنجدة .وفي اللغة الانكليزية neighbouring بمعنى المجاورة أو المتاخمة، وتشير الى الشيء القريب قرباً مادياً في المكان، أو قرباً معنويا، او تشير الى العلاقة او الرابطة التي تشمل معاني: الود، والصداقة، والألفة، والمحبة، والتعاون والمساعدة، كخصائص متوقعة من الجار. وفي اللغة الفرنسية فإن voisinage تعني قرب مكان السكن، وتشير الى قوة الروابط والصلات بين الجيران، وهكذا، فان مفهوم الجوار، من الناحية اللغوية، يشتمل على معنيين هما: المتاخمة المكانية من ناحية، والروابط والوشائج المترتبة على ذلك من ناحية اخرى. وبحكم ارتباط مفهوم الجوار بالمكان، فقد ظهر المفهوم في اطار علم الجغرافيا السياسية، الذي يهتم بدراسة تأثير العوامل الجغرافية على الاوضاع السياسية في مجتمع ما أو دولة ما. ونجد جذور هذا المفهوم لدى عدد من المفكرين السياسيين الذين قاموا بتفسير بعض الظواهر السياسية اعتماداً على الخصائص الجغرافية للدول، مثل: ارسطو، وجان بودان، ومونتسكيو وكارل ماركس، وارنولد توينبي، وعلى سبيل المثال، تحدث مونتسكيو عن الاثر النفسي لوجود حواجز

طبيعية فاصلة على الثقافة السياسية السائدة في مجتمع ما، من ذلك مثلا، ميل أهل الجزر للحرية وقدرتهم على الحفاظ على تقاليدهم، بحكم قلة الاتصال بالعالم الخارجي.

وهناك اتفاق على ان المفكر الالماني راتزل هو مؤسس علم الجغرافيا السياسية، وهو الذي كتب في نهاية القرن التاسع عشر عن الدولة، باعتبارها كائناً عضوياً له الحق في رقعة جغرافية مناسبة، تكون بمثابة "منطقة البقاء" له، وكان هذا هو الاساس النظري الذي اقامت عليه النازية فكرة المجال الحيوي للدولة، وتوالت اسهامات: ماكندر البريطاني، وماهان الاميركي في مجال تأثير الوضع الجغرافي على الدولة، وتبني عدد من انصار المدرسة الواقعية في تحليل العلاقات الدولية مدخل الجغرافيا السياسية في تفسير السياسة الخارجية للدولة، مثل: مورغنثاو، وسبيكمان وسبراوت.

وعموماً فقد تناولت هذه الآراء تأثير الموقع الجغرافي، والخصائص الطبوغرافية للدولة، وجهات سياستها الخارجية، وقام آخرون بتحديد المناطق السياسية الحيوية للدولة التي تمس امنها على اساس جغرافي، ولا يهمنا في هذا المجال مناقشة افتراضات مدرسة الجغرافيا السياسية، وخصوصا في شكلها المتطرف المنطلق من مبدأ "الحتمية الجغرافية" أو مناقشة النتائج المترتبة عليها، والتي تضمنت لدى البعض حق كل دولة في حدود طبيعية تحقق امنها، وهو ما قدم تبريراً فكرياً للنزعات التوسعية القومية، وإنما ما يهمنا، هو ان موقع الدولة الجغرافي هو احد عناصر وجود الدولة، فهو الذي يحدد مجال اقليم الدولة واختصاصها القانوني والسياسي، كما انه هو الذي يحدد دول الجوار التي تقع على حدودها، وهكذا فإن علاقات الجوار تدور في إطار المعطيات المادية التي يفرضها الموقع الجغرافي، والتي لا سبيل الى تغييرها.

واختلف الدارسون حول تأثير الجوار على شكل العلاقات بين الدول، فهناك من رأى ان الجوار الجغرافي يضع الاساس لعلاقات التنافس والصراع، بينما كان هناك من رأى ان الجوار يمكن ان يؤدي الى التعاون، ومن انصار الرأي الاول الفيلسوف الهندي كاتيليا، الذي كتب في القرن الرابع الميلادي "ان نقاط الخلاف تزداد بين الدول المتجاورة التي تصبح بالتالي اعداءً طبيعين" وكذلك فريدريك شومان، الذي رأى ان كل دولة هي عدو محتمل لجيرانها وحليف محتمل لجيران جيرانها، وينهض هذا الرأي على اساس ان الجوار يؤدي الى تنافس بين الدول المتجاورة في شأن السيطرة على مناطق الحدود، وانه كلما طالت الحدود

الجغرافية بين الدول، وزادت كثافة السكان في المناطق الحدودية، زاد احتمال دخولها في صراعات مع بعضها البعض.

وهكذا، فإن الجوار الجغرافي، طبقا لأنصار هذا الرأي، يوجد مصادر محتملة للصراع بين الدول، نتيجة الاختلاف على تخطيط الحدود، او بسبب اكتشاف ثروات طبيعية في المناطق الحدودية، او بسبب التواصل البشري وانتقال السكان عبر الحدود، ويزداد هذا الاحتمال عندما يكون الجوار الجغرافي بين دول متفاوتة في القوة، على نحو يغري الدولة القوية بمحاولة السيطرة على الدول الاقل قوة بدعوى انشاء مناطق عازلة او آمنة، أما وجهة النظر الثانية، فترى ان الجوار الجغرافي يمكن ان يمثل اساساً للتعاون والتكامل بين الدول. والحقيقية، انه لا يمكن اقامة علاقة خطية او مباشرة بين الجوار الجغرافي بين الدول من ناحية، وعلاقات الصراع او التعاون بينها من ناحية اخرى، ذلك ان هناك عدداً من المتغيرات الوسيطة التي تحدد شكل هذه العلاقات، مثل: توازن القوى بين الاطراف، وطبيعة نظم الحكم فيها، وشكل التوجهات الخارجية والتحالفات الدولية لها. كما أن هذه العلاقات تتأثر بالميراث التاريخي لعملية تكوُّن الدول وبطريقة ترسيم الحدود فيما بينها، وما اذا كانت هناك ثروات طبيعية في المناطق الحدودية أم لا، وطبيعة التواصل البشري والثقافي بين السكان المقيمين على جانبي الحدود.

ويمكن تحليل الجوار الجغرافي لدولة ما على مستويين: أولهما، الجوار الجغرافي بمعنى الدولة أو الدول التي تقع على حدود الدولة مباشرة، وثانيهما، الجوار الجغرافي بمعنى النظام الاقليمي المجاور للدولة والتي تقع هي على هامشه. أما بالنسبة الى مفهوم الجوار الجغرافي على المستوى الاول، اي بمعنى الدولة، فإنه يثير قضية الحدود السياسية بين الدول، وعما إذا كانت حدوداً طبيعية أم اصطناعية، تاريخية وقديمة أم تم ترسيمها حديثاً، متفقاً عليها أم محل خلاف، كما تثير قضية الحدود مدى تطابقها او تقاطعها مع التوزيع السكاني للبشر القاطنين على جانبيها، وخصائصهم القومية والثقافية.

وبناء على ذلك سنناقش الدول المجاورة للعراق فهو يجاور بلدين غير عربية هم تركيا من الشمال وايران من الشرق وتجاوره من الدول العربية سوريا والاردن والسعودية من الغرب ودولة الكويت من الجنوب. ولا شك ان الموقع الجغرافي للعراق جعل منه نقطة استقطاب واضحة خلال فترة الحضارات القديمة وحتى الوقت الحاضر، فان المتتبع لتاريخ المنطقة يدرك الدور الفاعل الذي يلعبه موقع

العراق الجغرافي، وان قيمة واهمية الموقع تتحدد من خلال خصائص ومتغيرات تعطيه بعدا سوقيا متميزا.

علما بان الموقع بحد ذاته قيمة متغيرة بحكم عدم ثبات معطياته، وخاصة البشرية منها حيث ترتبط هذه المتغيرات بعناصر طبيعية وبشرية.

ماهية موقع الجوار:

مفهوم موقع الجوار لدولة ما على خارطة القارة التي تحتل مكانها من الكرة الارضية ، ولموقع الجوار اثار جيدة واخرى سيئة على سير العلاقات الدولية الا ان هذا يتوقف على عدد الدول التي تجاور الدولة وطبيعة العلاقات بين تلك الدول المجاورة .

ويظهر ضمن مفهوم موقع الجوار مفهوم الدولة الحاجزة وتمثل هذه الدول مناطق انتقال من الناحية الحضارية وتبعا لذلك فأنها تشارك الدوليتين الواقعتين على جانبها في النواحي الحضارية والعقائدية ومما يدل على انشاء هذه الدول هو احتمال وقوع الحرب بين الدول المتناحرة وان وجودها بينهما يقلل كثيرا اذا ما فصلت بينهما منطقة محايدة

يظهر التأثير السيء الذي يتركه موقع الجوار على الدول بشكل واضح من خلال احاطة الدولة بدول مجاورة تختلف عنها في النواحي الفكرية والسياسية مما يؤدي هذا الى تأزم العلاقات بينها كما يظهر التأثير الجيبولتيكي لموقع الجوار على العلاقات الدولية اذا كان هنالك تباين بين الدولتين من حيث القوة فقد يؤدي ذلك الى ان تضطر الدولة الضعيفة الى الخضوع للدولة القوية وتبني سياستها الخارجية مع سياسية جارتها القوية او انها تصبح عرضة لأطماعها.

ويراد بموقع الدولة بالنسبة للدول المجاورة او علاقة الدولة بالدول المجاورة وما يترتب على ذلك من علاقات مع بعضها البعض ومع مراكز القوى في النظام العالمي، ولموقع الجوار أهمية سياسية إذ ان مجاورة الدول لبعضها البعض يؤثر في علاقاتها ايام السلم والحرب.

وينعكس سلبا او ايجابا على سير العلاقات الدولية فيما بينها، ومن ذلك نستنتج بان تجاور الدول واحترام سيادتها لبعضها البعض يساعد على التعاون فيما بينها، وهذا التعاون يؤدي بدورة الى القوة والتقدم الاقتصادي، ولكن قد يحدث العكس احيانا فنجد ان دولا كبيرة تجاور دول صغيرة، فتحاول ان تستولي عليها او تطمع بالاستيلاء على ثرواتها وبعض تخوم الحدود مما يعكس

حالة من عدم الاستقرار في المنطقة مما يؤدي الى نشوب حرب وتفاقم الخسائر المادية والبشرية فيما بينها.

اهمية موقع الجوار:

هو الذي يحدد اهمية الدولة اقليميا وعالميا، وفي كل المجالات السياسية والحضارية، وتحديد قوة الدولة على ضوء اعتبارات عدة، واضافة للموقع مساحة وعدد سكانها ومواردها الاقتصادية ودرجة تطورها حيث تنعكس كل هذه الاعتبارات على علاقات الدول مع بعضها البعض وتحدد سياساتها الخارجية ومجرى الاحداث التاريخية والدولية.

إن تجاور الدول اظهر بان هناك اتجاهين للعلاقات الدولية- الاتجاه الاول: يؤكد ان القرب الجغرافي يؤدي الى تغذية نقاط الاختلاف والتنافس بين الدول المتجاورة، ويذهب الاتجاه الثاني: الى العكس ويرى بان الجوار يهدف الى احتواء التنافس ويدفع الى التعاون، ويعد الجانب الاستراتيجي لموقع الدولة وتأثيره في جغرافيتها السياسة اكثر جوانب المواقع حساسية، ولما كان موقع الجوار الجغرافي العراقي تقع عليه دولتان غير عربيتان هما تركيا من الشمال وايران من الشرق واربع دول عربية هي كل من سوريا والاردن والسعودية من الغرب والكويت من الجنوب. كان لا بد من

وجود العديد من القضايا التي ترتبط بالمصالح الاقليمية، كما ان الاختلافات في المصالح والنواحي الايديولوجية والقومية من جهة والمطامع الحدودية من جهة اخرى يؤدي الى حدوث توترات وصراعات وعدم الاستقرار بين العراق وما يجاوره جغرافيا.

موقع العراق:

يعتبر الموقع من اهم العوامل الطبيعية التي تؤثر في الدولة ووزنها السياسي بين دول العالم، من حيث القوة بكل اشكالها سواء كانت اقتصادية او سياسية. فموقع العراق في جنوب غرب قارة آسيا، في القسم الشمالي الشرقي من الوطن العربي. تحدها تركيا من الشمال، وإيران من الشرق، وسوريا والأردن والمملكة العربية السعودية من الغرب، والكويت والمملكة العربية السعودية من الجنوب. وتمتد بين خطي عرض ٥° ٢٩' و ٣٧° ٢٢ شمالا، وبين خطي طول ٤٥ °٣٨ و٤٥° ٤٨ شرقاً. فالعراق يعتبر بلد قاري بعيد عن تأثير المسطحات المائية والمنفذ المائي الوحيد الذي يطل العراق علية هو الخليج العربي عبر شط العرب وام قصر على راس الخليج العربي، والمساحة الكلية للعراق هي : ٤٣٧,٠٧٢ كم مربع علما ان مساحة اليابسة : ٤٣٢١٦٢ كم مربع ومساحة المياه : ٤٩١٠ كم مربع، ويبلغ الطول الكلي للحدود البرية ٣٦٣١ كم (٢٢٥٦) ميل، ويبلغ الطول الكلي للسواحل البحرية (٥٨) كم (٣٦) ميل.

اسم الدولة	طول الحدود (كم)
تركيا	٣٣١ كم (٢٠٦ ميل)
إيران	١٤٥٨ كم (٩٠٦ ميل)
سوريا	٦٠٥ كم (٣٧٦ ميل)
الأردن	١٨١ كم (١١٢ ميل)
السعودية	٨١٤ كم (٥٠٦ ميل)
الكويت	٢٤٢ كم (١٥٠ ميل)

وتأتي أهمية الموقع الاستراتيجي للعراق في التاريخ المعاصر في النظر إليها على أنها معبر بري بين الاتحاد السوفييتي والبحار المفتوحة، إذ عن طريقها يمكن للاتحاد السوفييتي الاتصال بالخليج العربي والمحيط الهندي، كذلك

يعتبر العراق حلقة المواصلات الجوية بين أوروبا وآسيا، وتلتقي فيها جميع الطرق البرية التي تصل جنوب شرق أوروبا وشرق البحر المتوسط بالخليج العربي جنوباً، وإيران وباكستان والهند شرقاً ، ويعتبر العراق مكاناً لالتقاء العوالم الإسلامية الثلاث، العربي، والفارسي، والتركي، وأراضي العراق تمتد من الخليج العربي وحتى تركيا، أي أنه يشكل البوابة الشرقية للوطن العربي.

وقول وليم هملتون إن الخبراء الاستراتيجيين في وزارة الدفاع الأمريكية وفي مجلس الأمن القومي الأمريكي ينظرون إلى العراق بأنه قلب المنطقة العربية الآسيوية، وأن السيطرة على العراق تعني السيطرة على البترول، والتحكم في خطوط المواصلات الإستراتيجية، وتطل على الخليج العربي وتتحكم في الهلال الخصيب .كما أن سقوط العراق سوف يؤدي إلى قطع الاتصال بين المشرق العربي وبين بقية العالم الإسلامي، وخصوصاً إيران وتركيا وباكستان وأفغانستان، ويؤدي إلى اتصال مناطق النفوذ الأمريكي في تركيا بالخليج العربي، وعزل كل من سوريا وإيران كل منهما على حدة، وبالتالي خلط الأوراق في المنطقة وحرمان العرب من أهم سلاح كان لديهم في مواجهة إسرائيل، وهو العمق الاستراتيجي الضخم المساند لدول المواجهة أثناء الحرب، والذي يؤدي إلى عزل إسرائيل إقليمياً وقت السلم.